أ.ب. يهوشع والمصالحة مع العربي

رياض بيدس

كان صدور رواية «العاشق» لابراهام ب. يهوشع[1] سنة ١٩٧٧ بمثابة حدث أدبي وسياسي بالغ الاهمية. فلقد لفتت رواية «العاشق»[2] الانظار الى كتابات يهوشع السابقة؛ كما ان شخصية العربي احتلت مساحة واسعة من الرواية. وبهذه الشخصية ـ شخصية نعيم الباحث عن هويته ـ دشّن يهوشع فترة جديدة في الادب العبري: العربي الذي يدخل المجتمع العبري، ويأخذ مكانه بين الآخرين، كفرد له حياته وتفكيره وطموحاته.

ان يهوشع شخصية بارزة في الادب العبري الحديث، ويحتل مكانة بين الكتّاب، وتحفل كتاباته بتفاصيل واقعية تثير الكثير من النقاش. وأهمّ هذه الاعمال هي «ازاء الغابات» و«في مطلع صيف ١٩٧٠» و«العاشق». بهذه الاعمال الثلاثة سجّل الكاتب اسباب قلقه من الوضع القائم: ما هو دور العربي، أين الاقلية القومية الفلسطينية، في المجتمع العبري؟

تحفل أعمال يهوشع الاخيرة، مثل رواية «طلاق متأخر»[3] بمناقشة موضوع الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي على نحو استعاري[4]. وفي رواية «مولخو»[5] الاخيرة، تمّ اللقاء بين العربي واليهودي ليجري الكاتب عملية مصالحة بين الطرفين.

تحفل كتابات يهوشع، منذ بدايتها، بالعزلة. ابطاله يعانون من اغتراب ذاتي يجدر تفسيره في ضوء الواقع السياسي المضطرب؛ كما تحفل كتاباته بعملية البحث عن الآخر (سواء أكان عربياً أم يهودياً). وهذا القلق ينعكس على كتاباته كافة، كالظل الذي يطارد صاحبه. على أي حال، النماذج الثلاثة التي سنتناولها، هنا، تعكس موضوع الصراع، واللقاء، على نحو واضح.

لطالما أثارت لقاءات ونقاشات ومقابلات يهوشع جدالات ونقاشات لدى الطرفين، العربي واليهودي، على حدّ سواء. وسواء وافقنا أم لم نوافق على ما يدلي به يهوشع من آراء في احيان، فاننا ملزمون بالاعتراف بأن شخصية نعيم، مع كل نمطيتها مرات، كانت بمثابة فتح في الادب العبري الحديث. ولأهمية طروحاته السياسية العامة، رأينا من الافضل ان نفتتح الدراسة بتناول كتابه الشهير «لاجل الوضع الطبيعي»، الذي وضع يهوشع فيه وجهات نظره كافة المتعلقة بموضوعة الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

على أي حال، ان الخوض في غمار دراسة سياسية توضّح موقف الكاتب عامّة لأمر على غاية من الأهمية؛ لكن يجدر الاعتراف، سلفاً، بأن يهوشع يتعامل مع العربي من خلال صهيونيته. لذلك نرى ان عملية المصالحة تبدو، في احيان، وكأنها قسرية، او تخضع لاطارات الخط الصهيوني، أو تتجاوز الامرين معاً، محققة مبدأ التعارض الذي ينقض ايديولوجية الكاتب، وفكره.